دينار لا دينار ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية
ثم دفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت
ومات صلعم ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه
ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان صلى الله
عليه وسلم يلبس ما وجده فلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن
والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب
ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصائل
الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط
في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة
في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس
انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة
المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته وخدمه ومركوباته ومن ملك
الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز
للفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائد
عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها
في مظانها **فصل** واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والاداب
الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف
بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها و
وعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة
وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها و
التوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا
صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى
اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عايشة
رض كان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه يعني التادب
بادابه والتخلق بمحاسنه والالتزام لاوامره وزاجره وقال عليه السلام
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال انس رض كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم احسن الناس خلقا وعن علي ابن ابي طالب رض مثله وكان فيما
ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له
باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا
لسائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم صلوات الله على
جميعهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان
وغيرهم صلوات الله على جميعهم بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة
واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا

قال

قال المفسرون اعطي يحيى عليه السلام العلم بكتاب الله في حال صباه و
قال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب
خلقت وقيل في قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى و
هو ابن ثلث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو
في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في
بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه عند ولادتها
اياه بقوله لها الا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال
ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله اتاني
الكتاب وجعلني نبيا وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما و
علما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي
قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان اوتي
الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته
وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من
قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه
قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله اليه ملكا يامره
عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل
فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن ست
عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان
استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا
وقيل اوحى الله الى يوسف وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في الجب
بقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك من
اخبارهم وقد حكى اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا
صلعم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال
في حديثه صلعم لما نشأت بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم
بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد اليهما
ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف
في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة
في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة
قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غير
هم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه
اكتسابه تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان
على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد
بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة

Copyright King Saud University